

مقدمة

﴿فَسْتَأْذِنُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).
﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَسْفُرُوا كَأَنَّهُمْ قُلُوبٌ نَّكَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِیَسْفَفَهُوا فِي الدِّینِ وَلِیُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَیْهِمْ لَعَلَّهُمْ یَحْذَرُونَ﴾^(٢).
﴿إِنَّمَا یَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣).

(من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين) [حديث شريف].

أزور الإمام الشافعي كلما زرت القاهرة المحروسة.. فعند ضريحه الشريف أجد روحا لا أجدها إلا عنده.. عنده أجد الزهد والعفة وغنى النفس والرقي والارتقاء فوق سفاسف الأمور وعلو الهمة والشموخ والعلم قبل كل شيء.. العلم النافع الراقى.. أشرف العلوم.. علم الفقه وعلم الحديث.. هذان العلمان اللذان نذر الإمام حياته لهما وعاش من أجلهما وأقنى عمره في خدمتهما والعمل على إعلانهما ونشر كل ما فيهما من جواهر ودرر للناس جلاً وترحالاً.. فرحم الله إمامنا الشافعي ثالث الأربعة المجتهدين في الفقه الإسلامي من حيث ترتيب الميلاد.

(١) سورة الأنبياء الآية ٧، سورة النحل الآية ٤٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢.

(٣) سورة فاطر الآية ٢٨.

نشأ الإمام الشافعى فى عصر الانحراف فى الحكم - بعد الفترة
الراشدة والنمو الحضارى فى المجالات الأخرى فكان الخط الحضارى
لأمة الإسلام آنذاك - وكان الحكم بموجب قانون الصلاحية العامة التى
تتداول بها الأمم النفوذ على مستوى الأرض فى التفوق والتأثير «والأقل
سوءاً على الأكثر سوءاً»: العلم والقوة والتأثير.

فى ذلك العصر نبه الشافعى وصار داعية ثورة الحق والتكامل
الحضارى ومؤسس علم أصول الفقه، وإمام مذهب تبعه الملايين من أمة
الإسلام فكان قدوة لها وإماماً إلى يومنا هذا.

وفى وسط مناخات مقاومة الانحراف والتسلط بالقوة والإكراه وُلد الإمام
محمد بن إدريس الشافعى، وتربى ينهل من المعارف والعلوم ما شاء له
ذكاؤه وفطنته وعبقريته التى سجلها فى ميراث علمى لا تبليه الأيام.

الشافعى هو ناصر الحديث ومجدد القرن الثانى فقد قال الإمام أحمد
ابن حنبل رحمه الله: (يروى عن النبى ﷺ أن الله عز وجل يبعث لهذه
الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، فكان عمر بن
عبد العزيز على رأس المائة، وأرجو أن يكون الشافعى على رأس المائة
الأخرى).

ودخل على أحمد بن سريج القاضى شيخ من أهل العلم سنة ثلاث
وثلاثمائة وقال له:

(أبشر أيها القاضى، فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من
يجدد لها أمر دينها، وإنه تعالى بعث على رأس المائة الأولى عمر
ابن عبد العزيز وتوفى سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين
أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى، وتوفى سنة أربع ومائتين،

وبعثك على رأس الثلاثمائة) فصاح ابن سُريج باكيا وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي، ومات في هذه السنة.

وقد يكون عجبا للناس الذين لم يحيطوا بسيرة الشافعي علماً أن يقال لهم إنه كان شاعرا، ولكن هذا هو الذي كان، فإن الشافعي كان شاعرا يجيد قول الشعر، وإن لم ينصرف إليه ولم يتوسع فيه، إذ كان مقلا فيه لاشتغاله بالفقه والعلم، وهذا هو المبرّد يقول: (كان الشافعي من أشعر الناس، وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات).

وحُق للشافعي العالم الفقيه إجادة الشعر بجوار علمه وفقهه فقد بدأ أمره بطلب الشعر والأدب وأيام العرب، وقد رحل إلى قبيلة «هذيل» وأقام بينهم زمنا طويلا يتلقى عن أبنائها اللغة ويحفظ منهم أشعارهم حتى صار حجة في أشعار هذيل..

يقول الأصمعي: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي ويقول: قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة!

ومن الملاحظ على شعر الشافعي تميزه بقوة الجملة وسهولتها وسلاستها ووضوحها فما يريد إيصاله للمتلقى يصل دونما فلسفة أو تعقيد أو تغريب، وقد كتب الخلود لأشعاره لأنها إسلامية ذات موعظة وتأمل وحكمة ومن النصائح الثمينة وروائع الحكم، لهذا آثرت أن أعتنى بشرح الديوان عن المضى في السرد المطلق عن حياته وعلمه فقط، فكم في شعره من فائدة لذوى الألباب! وكفى بهذه الكلمات تقديما.. فخير الكلام ما قل ودل.